# ندوة بمناسبة الذكرى الثلاثين لرحيل المناضل والصحفي المبدع عبدالله عبدالرزاق باذيب

**بحضور جمع من الإخوة والأساتذة من مختلف القوى السياسية في بلادنا وعدد كبير من المفكرين والساسة ورجالات الثقافة والإعلام.. ولم يخل المكان من حضور متميز للعامة البسطاء ممن عرفوا الفقيد القائد والصحفي المبدع عبدالله عبدالرزاق باذيب عن قرب عقدت ندوة ثقافية متميزة بنوعية الحضور والطرح بمناسبة الذكرى الثلاثين لرحيل القائد والصحفي الفذ والجسور التي تصادف ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦م في مقر سكرتارية الحزب الاشتراكي اليمني/ عدن.**

متابعة/أسماءالحمزه

يوم جميل وأجمل مافيه "صاحب المناسبة ومكانته" ولقاء الزملاء والأساتذة والفرقاء من الوان الطيف اليماني لقاء القديم بالجديد والقديم المتجدد يوم من أيام الزمن الجميل لقاء افتقدناه كثيراً، لقاء بنكهة توابل باذيب وجناح جديد "وحدوي" في ظل الوحدة المباركة، الوحدة التي طالما ناضل الفقيد صاحب الموقف الإيجابي المبكر من أجلها ، الوحدة التي تضمن للجميع العيش الكريم والعلاقات الطيبة المتكافئة والحب والأخاء في اليمن الواحد- اليمن الطبيعي.

وقد تحدث عدد كبير من الحضور في مداخلاتهم بقراءات لكتابات الفقيد عبدالله عبدالرزاق باذيب حديثا ذا شجون عن شخصيته وأسلوبه وفكره ومواقفه الوطنية وعلاقته المتميزة بالبسطاء والارتباط بهم وقضاياهم التي تبناها في أعماله الصحفية منذ بداياته الأولى.

أفتتح الندوة الأستاذ قاسم داود عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني- سكرتير ثان منظمة الحزب "عدن" وأدار الندوة الاستاذ ياسين أحمد صالح عضو اللجنة المركزية.

وقد استهل كلمته بالترحيب بالحضور واستطرد في القول: قبل عامين من يومنا هذا التقينا وكان اللقاء بمناسبة مرور ٢٨ عاماً على رحيل المناضل باذيب بحضور الاستاذ مبارك حسن الخليفة الذي تفضل بمداخلة تضمنت قراءة لأعمال باذيب وتطرق إلى إسهاماته النظرية والعملية في كثير من المجالات ولا سيما التربية والتعليم والثقافة والإعلام، قائلاً ان بصماته واضحة في مختلف المجالات مسرح، فلكور، شعر، المؤسسات العلمية.. وكان له السبق في تأسيس أول فرقة للرقص الشعبي.. والشواهد كثيرة لأعماله المتميزة واضاف إن الفقيد قد انخرط في العمل الوطني في وقت مبكر بإيمان حقيقي وتضحية ونظرة بعيدة المدى، وحب للأرض والانسان في اليمن الطبيعي.. وقد تضمنت الندوة عدداً من المداخلات..

## الولاء لليمن عند باذيب

تقدم أصحاب المداخلات الاستاذ الصحفي عبدالرحمن علي خبارة الذي قال في مستهل مداخلته تعلمنا من باذيب كيف يكون الولاء لليمن أرضاً وانساناً ليس في النظرية فقط ولكن في الممارسة العملية التي برزت في مواقفه، وواصل الحديث عن محطات من حياة الرائد باذيب وبداياته الاولى وثقافته المبكرة رغم تركه مقاعد الدراسة مبكراً واستعرض بعض فقرات تتحدث عن قضايا الناس وقضايا الوطن في الصحف التي عمل بها مثل المستقبل/ النهضة/ الجنوب العربي/ البعث/ الفكر، وأكد الطرح المسؤول في كتابات باذيب السياسية في المناطقية والاجتماعية النابع من فكرلا ينطلق في المناطقية والمحسوبية ولكن من فكر وضمير مفعم بالولاء لليمن الطبيعي يمن الجميع.. وأضاف ان الفقيد كان من أصحاب السبق في الارتقاء بالعمل الإعلامي والصحفي وبصماته واضحة في ثقافتنا الوطنية.

## قائد يبحث عما يجمع وينبذ ما يفرق

ساهم الاستاذ مرشد شمسان مدير مركز البحوث والدراسات عدن بمداخلة تناولت في شطرها الأول كلمة وفاء لأصحاب العطاء غير المشروط وفاء للقائد الموقف المحب للجميع العون للرفاق معنوياً ومادياً رغم ظروفه المادية البسيطة المعروفة للجميع.. وقال بعد تقديم الشكر لمنظمي الندوة الاستاذ باذيب كما قال شمسان وأقولها أنا والكثير من أبناء الشعب اليمني عزيز وقريب وهو في القلب وفي الذاكرة والوجدان وحاضر وقت المحن والعقبات بالموروث من أعماله النبراس والنور في تحسس الطريق في ظلمة الزمن الموحش ويواصل الاستاذ شمسان حديثه: لقد لعب باذيب الأب والقائد دوراً مؤثراً وأساسياً في حياتي الشخصية. وأكد أنه كان شخصية تستحق التقدير والاحترام كقائد سياسي محنك ورفيق بسيط متواضع لا يعرف الغرور طريقاً إلى نفسه يتحسس المشاكل الشخصية للرفاق والعامة ويشعر بمعاناة الناس واضاف ان الفقيد باذيب صاحب المعارف المتعددة كان عميق الفكر عمله مبني على الإيمان والمعرفة والممارسة على الواقع وصاحب سلوك وخلق منقطع النظير في زمننا يبحث دائماً يبحث بشكل حثيث حتى مع الخصوم السياسيين عما يجمع وينبذ ما يعرف وحدوي بمعنى الكلمة محب حتى لنخاع للخير والخيرين ومحب لسلام في العالم أجمع.. رجل يبحث عن اللغة المشتركة مع الجميع. همه الأول قضية الوطن الكبرى (الوحدة) منذ وقت مبكر وهو أول من تحدث عن تشكيل جبهة وطنية عريضة بعيد عن التفكير الضيق صاحب أفق مستقبلي.

## صاحب تجربة متكاملة في العمل الوطني

كلمات بدأ بها الاستاذ عبدالله عزيز في مداخلته عن الفقيد باذيب :"تميز فقيد الحركة الوطنية بامتلاك قدرات فكرية ونضج سياسي وتجربة نوعية متكاملة في العمل الوطني، ويعتبر بحق من أوائل مؤسسي الحركة الوطنية في وقت مبكر ومن كبار واضعي الأسس العلمية لفكر الحركة الوطنية بل اولهم في ذلك الوقت".. كما أكد عبدالله عزيز على ضرورة ان نجعل الجيل الجديد يتشرب من فكر باذيب ويتعرف على رواد الحركة الوطنية الأوائل وعلى رأسهم عبدالله عبدالرزاق باذيب وهذه مهمة المثقفين والصحفيين ووسائل الإعلام عامة.

## لا يقبل المساومة في قضايا الوطن

وتحدث الصحفي علي هيثم الغريب قائلاً: باذيب رجل لا يقبل المساومة في قضايا وطنه وأسس الفكر الإنساني من أهم الأمور التي ناضل من أجلها الدعوة للاستقلال وطرد المستعمر/ الدعوة لإعادة الوحدة اليمنية/الدعوة/لبناءالاشتراكيةحسب واقع اليمن.

واضاف: "باذيب مؤسس الحركة الوطنية الحرة رجل بمعنى الكلمة اقرب ما يكون إلى البسطاء اصحاب المصلحة الحقيقية في النضال رجل يلتف الجميع حوله لحسم الخلافات.. صاحب حلول واقعية".

## باذيب الأب الروحي للوطنيين والأحرار

العنوان بداية حديث المناضل حسن بن حسينون في مداخلته في الندوة التي حيا في بدايتها أسرة الفقيد وبالذات المرأة الفاضلة المكافحة زوجته أم أوسان التي تحملت المسؤولية الشاقة وعبء تربية ثلاثة أطفال أوسان وواعد ووضاح الذين صاروا رجالاً متسلحين بالعلم والثقافة وخلق الأب والانسان بما تحوي الكلمة من معنى ومضامين.

وقال ليس من السهل الحديث عن سيرة باذيب الذاتية وأعماله في عجالة كهذه وهو الأب الروحي للوطنيين والأحرار ومدرسة ثقافية وفكرية ليس على مستوى اليمن فقط وإنما على مستوى الجزيرة والخليج.

## نظرته للمرأة

وفي الندوة كان للمرأة حضور متميز وفي المقدمة الأخت فاطمة مريسي رئيسة اتحاد نساء اليمن والإعلامية فائقة السيد وعدد من المثقفات، نعم كان للمرأة حضور متميز كيف لا وهي الحاضرة في ذاكرة الفقيد وشاغلة فكره في مراحل عمله الوطني، فقد أولى المرأة الاهتمام ودعا إلى مشاركتها في العمل الوطني والتنمية في اليمن الموحد الذي ناضل من أجله طوال حياته.

وقد تفضلت بالحديث في هذا الجانب الشخصية الاجتماعية والإعلامية فائقة السيد أحمد باسهاب فهي ضمن من عايشوا الفقيد عن قرب وكان لها الأب والمعلم والقائد والقدوة حتى بعد مماته وقد بدأت الاستاذة فائقة حديثها قائلة: " تشربنا من افكار عبدالله باذيب الكثير التي ساعدتنا في اكمال المشوار العلمي والعمل السياسي.. وكان الفقيد يعطينا أهمية ويدفع بنا للعمل السياسي الشبابي فر مبكرة يدفع بالمرأة إلى مواقع متقدمة ويحث الشابات على تحمل المسؤولية وبناء القدرات للمستقبل.

وقد دفع بكثير من الزميلات إلى الدراسة إلى جانب عدد من الزملاء في الدول الاشتراكية في ذلك الوقت وعمل على حل كثير من المشاكل في مجال الدراسة وكان صاحب موقف إيجابي من المرأة نابع من قناعته بقدرات المرأة عندما تتاح لها الفرصة.

## رجل لا يعرف الغرور

اود التأكيد عن مسألة مهمة لفتت نظر الجميع وهي حضور البسطاء ومشاركتهم في الحديث عن الاستاذ باذيب بشكل أذهل الجميع منها كلمات عميقة المعنى والدلالة لأحد البسطاء يدعى (ياسين عبده قاسم غالب) ملقب أبو جولان واحد ممن التصقت حياتهم بحياة الفقيد باذيب وعرفه عن قرب تحدث بكلمات مليئة بالعرفان والجميل وكلمات اعجاب وفخر.

بدأ أبو جولان بحديث صادق نابع من القلب قائلاً: " باذيب رجل لايعرف الغرور سبيلاً إلى نفسه وحدوي بمعنى الكلمة" وقدم أبو جولان معلومات وامثله لمواقف باذيب تؤكد (إيمان باذيب الصادق بالوحدة الوطنية) قائلاً: " من احتكاكي بالفقيد عرفته انساناً عادياً لا يختلف عنا نحن البسطاء كثيراً في وضعه المادي ورغم هذا جهز مجاميع كبيرة وتم ارسالها للدفاع عن ثورة سبتمبر وسخر صفحات صحيفته "الأمل" للكفاح المسلح في الجنوب.. باذيب رجل لا يملك إلا الإيمان بالقضية، صاحب علاقة طيبة بالرفاق والقوى السياسية الاخرى محب للبسطاء لا يرد على الخصوم إلا بالفعل الإيجابي.. فتح صدره وصحيفته الأمل للكفاح المسلح ولا يسعنا إلا الإشادة بهذه الشخصية المتفردة بالعطاء غير المشروط .

---

## شعاع

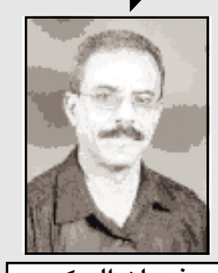

نعمان الحكيم

### يوم مميز!

ما أن تشرق شمس الجمعة، حتى ترى الناس في سير وئيد وتجمعات قليلة.. ذلك لأنهم في اجازتهم الاسبوعية، التي فيها يتفرغون لأمورهم المنزلية والأسرية والاجتماعية، وصلة الارحام تكون في المقدمة للسؤال والسلام والاطمئنان.

وما يكاد ظهر الجمعة يأتي حتى تسمع تلاوة القرآن الكريم من على منارات ومآذن مساجد مدينة عدن التي تضم مئات الآلاف من المصلين والمتعبدين طيلة أيام الاسبوع، لكن يوم الجمعة تكون بنكهة مميزة!

ترى الناس يغدون إلى الجوامع والمساجد في ثيابهم النظيفة الزاهية والعطر يفوح من على هؤلاء الناس الذين يريدون لقاء ربهم وهم في أحسن حال.. أليس هذا اليوم هو أفضل أيام الله في الأسبوع، وصلاته تفوق عشرات الصلوات أجراً عند الله.. فالجمعة إذن يوم جامع للناس وهو خير أيام الله!

وفي الجمعة يتهيأ الناس ليوم قادم آت بكثير من الآمال العراض.. يستعد الناس بعد قضاء عطلتهم الأسبوعية لاستقبال يوم عمل جديد، بعد تمتعهم بإجازة سعيدة بين الأهل والأحباب والصحاب، وتكون معنوياتهم عالية ومستقبلة ليوم عمل جديد هو بداية الأسبوع وسبتها الفاتح!

إن التفكر في هذا اليوم وما حكمة جعله عطلة أسبوعية يجعلنا نؤكد أنه يعود لكون هذا اليوم يوماً مميزاً عند العرب والمسلمين عامة، ففيه انزل القرآن الكريم وتحديداً في شهر رمضان الكريم.. ولذلك يعتبر يوماً جامعاً للمسلمين يتفكرون فيه في خلق الله ويتبتلون إليه متعبدين في المساجد والجوامع لأداء الفرائض التي هي العلامة الفارقة بينهم وبين غيرهم من بين أدم!

الجمعة.. شعاع من نور الإيمان يتجلى لنا نحن المسلمين كيوم عظيم.. إلى يوم الدين.. فمرحباً بك يا يوم الجمعة في كل أسبوع.. وحين .

---

# كامل الشناوي أشهر وأخر ظرفاء العصر !

الشاعر كامل الشناوي قد يكون أشهر وأخر ظرفاء العصر أمتاز برقة الكلمة المنمقة التي جعلت نثره لوناً من الشعر والموسيقى ومع أنه تولى رئاسة تحريرعدة صحف ومجلات كبرى إلا أن موهبته كشاعر لامع ومحدث ظريف كانت تطغى على استعداده الصحافي بل إن شاعريته وظرفه كان مفتاح أبواب الصحافة والسياسة والمجتمعات .

جمع كامل الشناوي في ثقافته مختلف الفنون والآداب العالمية وجميع ماأنتجه الفكر العربي ..منذ العصر الجاهلي ..كانت له ذاكرة أشبه بجهاز التسجيل تحفظ كل مايقراء فكان يحفظ الأف الأبيات للشعراء القدامى والمحدثين ..إنه شاعر العصر الذي عشق العذاب في الحب .

كان الحب طعامه والهواء الذي يتنفسه ..كما أنه أحب المرأة ولم يتزوجها وكان يحب أن يشقى في حبها ولعل أشهر قصة حب في حياته هي التي سجلها في قصيدته (لا تكذبي) التي عندما رشح نجاة الصغيرة لتغنيها قال له بليغ حمدي في رد له مغزى "اختيار موفق".

مصطفى كامل سيد الشناوي ولد في ٧ ديسمبر كانون الأول، ١٩١٠م عقب وفاة مصطفى كامل فأطلق عليه والده اسمه المركب مصطفى كامل واشتهر باسم كامل وكان مولده في قرية نوسة البحر مركز أجا محافظة الدقهلية ومن أسرة تضم ١٠ أشقاء والده هو الشيخ سيد الشناوي رئيس المحكمة الشرعية العليا وعمه مأمون الشناوي شيخ الأزهر في الأربعينيات من القرن الماضي وكان بديناً في طفولته بل استطاع ان يجعلها للمرح فكان الأطفال في القرية يعيرونه ببدانته وذات يوم شاهده الكاتب والصحافي محمد التابعي وهو في قريته ويكبره بثمان سنوات.. وكان يتشاجر مع الأطفال وقد أدخل أحد ذراعيه في الجلباب وترك (كم) الجلباب فارغاً. فسأله عن السبب قال: " يمكن الأولاد يفتكروا أن ذراعي مقطوعة أو مكسورة فيحزنون من أجلي لا يعايروني ببدانتي" انتقلت الأسرة للإقامة في القاهرة واختار والده بيتاً في حي السيدة زينب ذلك الحي الشهير ليكون ابنه قريباً من الأزهر الشريف.

التحق كامل الشناوي بالأزهر بناءً على رغبة والده الذي كان يريده أن يصبح قاضياً مثله. استمر في الدراسة في الأزهر خمس سنوات ثم التحق بكلية الحقوق الفرنسية لكنه لم يكمل تعليمه فيها.. فقد اتجه إلى دار الكتب ليجعل منها جامعة له يطالع في كتب المعرفة والآداب العربية والأجنبية.. كان كامل الشناوي عصامياً في تحصيله للثقافة والأدب وتعلم اللغة الفرنسية في المنزل وأتقن العربية الفصحى فقهها وبلاغتها وعروضها ومجازها..

هذه المؤهلات كان لها أثر كبير في حياة كامل الشناوي فعندما مات الملك فؤاد ملك مصر وتسلم ابنه فاروق مقاليد الحكم احتاج من يعلمه اللغة العربية التي لم يكن يجيدها فتولى كامل الشناوي هذه المهمة الذي ساعدته على ذلك إجادته للغة الفرنسية والعربية ومنذ ذلك الحين نشأت صداقة وطيدة بينه وبين الملك فاروق الذي أنعم عليه برتبة (البكاوية) وتوسط كامل الشناوي لدى الملك ليحصل على العفو للشاعر بيرم التونسي الذي كان منفياً بأمر الملك في باريس بسبب قصيدتين كتبهما بعنوان (القرع السلطاني) و (القرع المملوكي) هاجم فيهما الملك.. وظل بيرم التونسي منفياً طيلة ٢٠ عاماً حتى عاد سراً واختفى في منزل كامل الشناوي وظل به حتى حصل له كامل على العفو من الملك.

حياة الشناوي كلها تركزت على الشعر والصحافة.. فقد عكف منذ بداياته على العمل في بلاط (صاحبة الجلالة) التي ارتقى فيها بسرعة الصاروخ حتى صار واحداً من أبرع كتابها وأشهر رؤساء تحرير الصحف في مصر.

كانت بدايته الصحافية في جريد (كوكب الشرق) كمصحح للغة العربية كان ذلك في عام ١٩٣٣ لكنه بخفة ظله التي اشتهر بها نجح في كسب ثقة الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي الذي كان يعمل مديراً لسياسات الجريدة.. فنقله من قسم التصحيح إلى وظيفة المحرر المنتدب بمكتب مدير سياسة الجريدة.كان الدكتور طه حسين قد عرف كامل الشناوي شاعراً وراوية للشعر ولكنه اكتشف ايضاً خفة ظله فأراد ان يظل بجانبه.. في عام ١٩٦٣م انتقل الشناوي إلى جريدة (الاهرام) بعد ان تعلم الكثير في مدرسة الصحافة وكانت قفزاته سريعة تدهش أقرانه وتثير حسد من تخلف عن سباقه.. فخلال ١٣ عاماً فقط من عمله ببلاط (صاحبة الجلالة) ارتقى من مجرد مصحح في جريدة كوكب الشرق إلى رئاسة تحرير مجلة (آخر ساعة) وكان من بين المراكز التي احتلها رئاسته لتحرير صحف (الأخبار) و(المساء) و (الجمهورية) وظهرت موهبة الشعر لديه وهو في الرابعة عشرة من عمره أما من أكتشف هذه الموهبة فهو الشاعر محمد الأسمر الذي كان صديقاً لأمير الشعراء أحمد شوقي وشاعر النيل حافظ ابراهيم فقدمه إليهما.. وكان كامل الشناوي أول من قدم عبدالحليم حافظ عندما كتب له أغنية (على قد الشوق) و (لا تكذبي) (جيبها- لست قلبي) وغنت له أم كلثوم (انا الشعب- أماه) أما أشهر ما غنى له فريد الأطرش فهي قصيدة (عدت يايوم مولدي) وهي القصيدة التي كتبها يرثي نفسه حين ينتابه شعور مبهم لا يعرفه كلما حل يوم مولده.

توفى كامل الشناوي في ٢٠ نوفمبر تشرين الثاني عام ١٩٦٥ عن عمر ناهز الـ ٥٥ عاماً ترك مجموعة من المقالات والكتب والدواوين الشعرية منها: (اعترافات ابو نواس+ أوبريت جميلة+ الليل والحب + الموت+ لقاء مهم+ لا تكذبي+

إعداد : داليا عدنان

---

# الحكايات الشعبية اليمنية (في عدن)

أديب قاسم

عند التصدي لدراسة التراث الشعبي، أصبح من البديهي أن نرى فيه المعبر الحقيقي عن الأصالة وعن الحياة الروحية للشعب، وحيث أن لكل شعب حكاياته المأثورة، وغالباً ما تتشابه هذه الحكايات لدى جميع الشعوب مما جعلها تأخذ صفة النص العالمي.

واعتباراً بأن الحياة بناء متعدد الجوانب فقد ظل الأدب الشعبي -على وجه الخصوص- يؤدي دوره المميز عبر مختلف الأزمان، منذ أن أمتلك الإنسان القدرة على التعبير، فلطالما كان هذا الأدب مستودعاً لتجاربه وخبراته وتأملاته في الحياة، يعكس ما في نفسه من أشواق وتطلعات، ومن أحاسيس خفية غامضة ارتبطت بعناصر هذا الكون، وقد أفضت به إلى تشوف عوالم سعيدة؟

وما كان الفنان الشعبي بنسجه لهذا الأدب ليميز بين الخير والشر فحسب، وإنما كان بذلك يفرغ معاناته نظير هذا التطلع، فيما كان يبحث عن تسلية الحياة، وعلى هذا الأساس كان انتجاعة لتدابير أدبية عبر أشكال من التعبير الفني، وهو مما كان يعمق احساسه بجمال الوجود حين ينفعل بالشيء فيسعد، أو حين يضيق به فيسعى إلى تجاوزه ليصور تحت واقع شعور عاطفي بالغبن تلك الابعاد ذات السمات الجمالية التي كان يطمح إليها كي تتحقق، ويكاد - أحياناً يخفيها في أدبه حيال قوى متسلطة!.. وكان يفعل ذلك ليتخطى أزمته أو أزمة واقعه بالانتقال من الكون إلى التكوين، وذلك بما في جوهر الإنسان وجوهر هذا الكون من إمكانات للعيش السعيد عن طريق إعادة بناء الحياة أو إحداث التغيير في بنية عناصر هذا الوجود.. فيكون الانتقال من وجوده وسط ظروف معيشية صعبة نحو تحسين ظروف هذا العيش وتحقيق أكبر قدر من الاستمتاع بالحياة.

إذن، فقد كانت لعمليات الخلق الأدبي التي تتخلق في رحم الإبداع الشعبي- بدلالاتها النصية من الاعتبار بأن النص هو انعكاس لواقع مكاني وزماني- وظيفة سامية ضمن عمليات بناء هذا الكون، طالما جاءت تخاطب وجدان الإنسان في كل زمان.. وطالما كان الأدب الشعبي في أساسه هو نتاج إبداع فردي لمتأمل موهوب أوتي حظاً كبيراً من الفطنة. وذلك من شأن الأديب في عصرنا إذ تنعقد في احاسيسه أدوار من المعرفة وقد جعلت تقوده نحو غاية ما عبر كل ظرف يمر به من ظروف الجمال، مما قد تلوح بارقته في هذا العالم، أو قد ينطوي عليه البعد النفسي المتخيل- بصورة استثنائية- للأديب المبدع، فيتحسن بشيء خفي يحفزه من وراء الغيب إلى غاية.. وحتى يدرك أن وجوده إنما ينطوي على رسالة عليه أن يبثها هذا العالم!

والحكايات الشعبية هي أبرز وجوه هذا الأدب بما حظيت من تقبل عام لدى مختلف الشعوب ,ومن سيرورة عبر الأزمان إذ أنها قد أنطوت على عنصر خلودها بما لها من قدرة على مخاطبة الكل، وبما لها من قوة طبيعته على الاستمرار والبقاء.. وذلك لما كان القاص الشعبي يدرك أن العامة أو من يمثلون الحس العام هو الذين ترجع إليهم القيمة الإنسانية لهذا الأدب.. وتعود تلك القيمة إلى أنه استطاع أن يجسد مرحلة من تجارب البشر تمكنت جذورها في ضمائرهم وهيمنت عليهم بإحساس جماعي غامض.. فكان المصير الإنساني هو الذي يرتكز عليه هذا الأدب. ومن هنا كانت هيمنة الأثر الفني على الشعب. وكان هذا أهم أسباب شيوعها وانتشارها في العالم.

والحكايات الشعبية بما أنها الحلقة الرئيسة من حلقات هذا الأدب.. فقد أنصب عليها اهتمام المربين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الأنثروبولوجية والأدباء على اختلاف أنواعهم وبالأخص كتاب أدب الأطفال.. يتقدمهم جامعوا الفولكلور الذين عملوا على تدارك نصوص هذه الحكايات قبل أن تندثر تحت عوامل التمدن الحديث التي تقضي بمتطلبات عصرنا!.. فأي خسارة ربما كانت تلحق بعالم الأدب إن فقدنا هذا التراث الذي ما إن تداركته بعض المؤسسات والأفراد وبالإستفادة من الأصل التراثي في الحكايات الشعبية حتى نهضت على أركانه شوامخ الأدب الإنساني العالمي منذ الإغريق أو عصر بركليس إلى وليم شكسبير في العصر الاليزاباثي ثم عصر النهضة الأوروبية وحتى بعض نتاجات عصرنا

حين أدركت مدى أهميته وعمق تأثيره في تأصيل ما ننسج من أدب قومي بمترع التواصل الإنساني مع النتاج الأدبي الحضاري الممتد عبر هذا العالم؟! فالحكايات الشعبية بما لها من حضور واسع على مستوى العالم قد كان لها مردودها الكبير على ما ينتج عن أقلام الأدباء والروائيين المبدعين في العالم بما تضمنته من عادات وتقاليد وأفراح وأغان وأساطير إلى جانب ما تتمتع به من مستوى لغوي بما فيه من دقة التعبير.. فتكون محط استلهامهم في كثير من الأعمال التي ينسجونها للأطفال أو يؤلفونها بوجه عام.. غير أن هذا الموروث الأدبي الشعبي على الرغم من غزارته وكثافته في اللحظة اليمنية التي أعقبت انخراطها في هذا العصر، أي منذ بداية نهضتها الحديثة عقب قيام الثورة ظل كماً مهملاً وعبئاً ثقيلاً على عاتق هذا الشعب، حيث لم تعمل فيه المؤسسات الرسمية عملها المنوط بوجودها في القيام بعمليات المسح الميداني الكامل لأنماطه وأجناسه وأشكاله المختلفة، بغرض توثيقها ودرسها وتطويرها.. وهو مما يدخل تحت مصنف "المأثورات الثقافية الروحية" أو ما أصبحنا نطلق عليه تسمية "التراث الشعبي" وذلك في الوقت الذي تجري دراسته داخل كليات الأدب.. ومعاهد الفنون، وخارج أسوار الجامعات في أنحاء مختلفة من الوطن العربي.. وفي مختلف أرجاء العالم!

فلم تهتم الدولة أدنى اهتمام بمأثورات الشعب.. وإنما كان ذلك يتم بعمل أفراد قلائل يدفعهم حب الوطن والرغبة في بيان أصالة هذا الشعب.

على أن الجهود الفردية وحدها وهي التي نهضت بلملمة أطراف من هذه الحكايات، ولا تعد ذات قيمة كبيرة مقارنة بحجم هذا التراث الهائل!

.. فمثلاً كانت مجموعة "علي محمد عبده" ومجموعة "حسن صالح شهاب" ومجموعة أخرى كان قد جمعها السفير الألماني "فيرنر داوم" الباحث في تاريخ الحضارات القديمة والذي كان قد قضى في اليمن أكثر من عشرين عاماً خلال عمله الدبلوماسي..

وظهرت تلك الحكايات الشعبية ضمن أعماله مترجمة إلى اللغة الألمانية مباشرة من ميدان الجمع، دون أن نحظى بنصوصها الشعبة اليمنية، وربما حظينا مستقبلاً بمن يضطلع بترجمتها لنا عن تلك اللغة الأجنبية لا كما سجلتها اللهجات بنكهتها وجرسها وملمسها الشعبي!

.. وقد ظلت مجموعة أخلى طريقها إلى وزارة الثقافة منذ أكثر من عقدين من الزمن، جمعها شاب يمني من نواحي صنعاء في موجة من الحماس الذي استشرى في الوسط الأدبي جراء الإقبال على دفائن التراث الشعبي، حتى تاهت في دهاليز وأروقة الوزارة ضجيج بياناته الرسمية.. هكذا، دون أن تأخذ هذه الجهات (المعنية بالتراث الثقافي الشعبي) على عاتقها عظم هذه المسئولية في تعميق الهوية الثقافية الوطنية نحو تأصيل حضارة هذا الشعب!

على أن الحكايات الشعبية اليمنية بأشكالها الجغرافية والتاريخية التي تميز حكايات كل شعب، لا تكاد تنحصر في هذا الشعب او ذاك، فرغم سماتها المحددة تجد مثيلاً لها في حكايات شأنها شأن غيرها، تضمنت كتاب الطبيعة وجميع رموز الكون وتفاصيل رؤية الحياة السائدة التي يعيشها الإنسان في كل مكان..

ويصعب في هذا الإطار أن نميز بين حكايات عدن الشعبية وسائر الحكايات الشعبية اليمنية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومثلما كان على محمد عبده صاحب "حكايات وأساطير يمنية" قد وجد تنوعاً لا اختلافاً لهذه الحكايات السائدة في اليمن في أكثر من مدينة وقرية حيث تروى الحكاية الواحدة على أكثر من وجه، أي استعمالات مختلفة النمط نفسه تسير في اتجاه واحد! إذ بدر ما تتسم الحكاية بالبنية الشكلية القارة بقدر ما تتسم بالتنويعات الخطابية أو التعبيرية الشعبية في عدن مقارنة مع جميع الحكايات، المنتشرة في اليمن.. ولنضرب مثلاً على ذلك في حكاية "جليد أبو حمار" حيث نجد أن البطل الشعبي، في الحكاية التي نشرها على محمد عبده تحت هذا العنوان، يستأذن الملك ليسمح له أن يرمي بسهمه الفتاة وهي أخته التي تمردت عليه وغررت به فهربت خلف الأمير السعيد ليتزوج بها وقد استعوذ عليها، قصره فكانت تجلس عند النافذة.. يقول بطل الحكاية للملك: " أتأذن لي يا مولاي أن أرمي الحمامة من بين الحمام" وذلك وقت ان كان يمر في السماء سرب من الحمام. فيأذن له الملك دون ان يدري بهدفه فيما كان هو يقصد أخته بتلك الحمامة والتي لم يلبث أن صوب سهمه نحوها فأصابها بمقتل.. وقد ظهرت هذه الحكاية في عدن ضمن مروياتها الشعبية مع اختلاف طفيف إذ لما كان المجتمع العدني يتشكل من أجناس مختلفة تعد فيه المرأة السوداء أو هي الشديدة السمراء (جارية) فحسب، فإن بطل الحكاية عندما يرى أخته تقف وسط جارتين عند نافذة القصر المطل على ميدان سباق الخيل مشرقة بهية كالقمر.. إذ يقول للملك: " أتسمح لي يامولاي الملك أن أرمي الحمامة من بين الغراب؟" يدخل هنا عنصر البيئة الحيوانية في هذه الحكاية وهو الغراب المنتشر في عدن.. ولم يكن يمر في السماء أي سرب من الطيور فيأذن له الملك وهو مندهش.. وهكذا يقتص من أخته برميه سهم قبل أن يعز بخيله ونموره عائداً إلى وطنه.. وفي عدن من واقع هذه الحكايات وسط مجتمع كوزموبوليتاني متنوع الأعراق نجد كثيراً من حكاياته عند نشدان العدالة الاجتماعية لا تضع خطاً فاصلاً بين أبيض وأسود، بل انها قد تمجد البطل ذي الشحنة السوداء على أبناء الملوك!

وتلك هي حكاية "علي بن الجارية" والتي انتجعت القول الذي لا يزال يردده العدنيون كلما حدث تمايز بين الأخوين: "ليش أن إبن الجارية؟!"

غير هذا، فإن الباحث عن أصول الحكايات الشعبية اليمنية سوف يختلط عليه الأمر في هذا التداخل بين ما يتشكل منا في المجتمعات الزراعية الجبلية، والمجتمعات البحرية التي تتشابه مع سائر البيئات العالمية داخل هذا الإطار، لدرجة يصعب معها أن نميز اليوم بين حكايتي "وريقة الحنا" و "عقيمة الرماد" اليمنيتين وحكاية "سندريللا" في الغرب.. واللفظ الانجليزي يعني تماماً "عقيمة الرماد" !

.. كذلك الآم الصقيع Mother Frost في الحكايات الشعبية الألمانية التي تتظافر أجزاؤها مع الحكاية اليمنية، ثم نصل إلى حكاية شعبية سمعتها تروى من امرأة عجوز وبلهجة أهالي عدن، وهي حكاية "قاتل أبوه.. عاقد بأمه" فإذا هي الوجه الآخر للحكاية الشعبية الإغريقية التي قامت عليها مسرحية سوفوكليس الإغريقي الشهيرة : "الملك أو ديب"!

ومن وجهة أخرى فإن الأدب الشعبي العربي- على المستوى القومي، وانعكاساته في الحكايات الشعبية العربية هو مؤثر قوي في امتزاج هذه الحكايات الشعبية مع غيرها من الحكايات ذات الطابع الشرقي.. وفي مقدمته لمجموعة "حكايات وأساطير يمنية" .

يلمح الدكتور علي الراعي تشابهاً غير قليل بين الحكايات اليمنية والمصرية ويتوقف عند واحدة وهي حكاية "الجرجوف" اليمنية ليجري عليها مقارنته مع حكاية "إيزوريس" المصرية.. ثم يمضي إلى تشابه أخر مع هذه الحكاية اليمنية ويجد ذلك التشابه في حكاية سمعها من أمه عندما كان صغيراً، وهي كما يروي حكاية "لونجا" ويمضي في هذه المقارنة لتحقيق التشابه العام بين الحكايتين.. ثم يستخرج لنا معان علقت بجبلة الجنس البشري من اتصاله بتلك العوالم العجيبة المدهشة من وحوش وعفاريت وقوى سحرية ليجسد لنا صراع الخير والشر ومحاولات الإنسان الدائبة للخلاص من الشر..وإلى ما هنالك من الموز التي دخلت في معتقدات الشعب.

وكان علي الراعي قد وجد في تلك الحكايات اليمنية مادة للمسرح والرواية صالحة لإستلهما الأدباء والكتاب فيما يعرضون له من أعمال أدبية ..حيث لاتقل هده الحكايات عن مجاراة النصوص العالمية للأدب .

وإلى ذلك، فإن أقرب الحكايات إلينا هي حكايات "ألف ليلة وليلة" و"حكايات لقمان الحكيم " و"حكايات كليلة ودمنة" إلى جانب السير الشعبية "عنترة العبسي " و"سيف بن ذي يزن " و"سيرة بني هلال"، وكثير من أنماط هذه الحكايات نجدها في نماذج التراث الشعبي اليمني ..ونسمع الكثير منها على ألسنة الرواة الشعبيين في عدن والمداحين وعازفي الربابة ..ومنها حكاية "علي بانواس " أو حبتي ..وإلا الديك "، وبعض حكايات الحيوان مثل حكاية "علي باثعالة" والمراد به الثعلب، وهنالك النوع العام للحكايات مثل حكاية "علي ابن الجارية" وحكاية "بنت صين الصين والسبعة السلاطين" وحكاية "سيف الحق وسيف الميزان" وحكاية "جميل وقبيح" وحكاية "بنت الشيطان ونعامة السلطان" .

.. وما من متسع لحصر جميع الحكايات الشعبية اليمنية في عدن، إنها حكايات شعبية عدنية ذات جذور قومية غير أنها اتسمت بطابع البيئة اليمنية في عدن مثلما في سائر مدن وقرى اليمن، وقد حملها الإنسان اليمني معه في تنقله من إقليم لأخر داخل رقعة الأرض اليمنية وعبر التحويل الأدبي المحمول باللهجات.. فيما تغلب منطق اللهجات في الأجزاء الداخلية من اليمن على مجمل الحكايات الشعبية في عدن.. ومع ذلك ظلت عدن تحتفظ لنفسها بلون خاص لا تطغى عليه لهجة غير لهجة عدن كحاضرة من حواضر اليمن السعيد.

والحكاية الشعبية هي عادة مما يروى للكبار والصغار معاً في ساعات المساء وأوقات اللهو والفراغ من أعباء البيت على أن ما يسمى اليوم تخصيصاً بـ "حكايات الأطفال الشعبية" إنما يدخل ضمن الإطار العام لهذا النوع الأدبي في سائر الحكايات الشعبية، حيث أنها لم تؤلف خصيصاً -في الأصل- لعناية النشيء، ولكن لما من طبيعتها شكلها "البسيط" من حيث أن لها بداية مثيرة وخاتمة سارة أو محزنة ومع تنامي أسلوبها السردي من الأساس حتى الذروة، فيما هي تبدأ بالضرر وتنتهي إلى إصلاح هذا الضرر.. ومن خلال توسلها بروح الأسطورة بما تثيره من الاستغراب والدهشة.. وهو مما يؤدي إلى الاستغراق في الخط العام لمسير الحكاية حتى تصل إلى النهاية.. فإنها قد جاءت على هذا النحو لتخاطب الكبار والصغار في نفس الوقت.. فمن ه